# البندقية مدينة التناقضات

**الكتاب: "فينيسيا، مدينة نقية"**

**تأليف: بيتر أكرويد**

**ترجمة: ابتسام عبد الله**

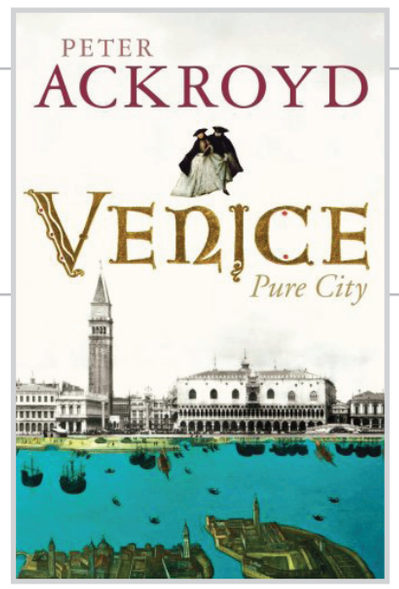

هل تحتاج مدينة "البندقية" الى كتاب آخر فهناك ان بحثنا أكثر من ٥٠٠٠٠ عنوان عنها. وخلال السنوات القليلة الماضية وحدها، اصدر كتاب كبار مؤلفات عنها ومنهم جون بيريدت، جون جوليوس نورويج، فرانسيسكو دا موستو وتيزيانوا سكاربا. وقد اكتمل عقد الكتاب اخيرا بانضمام بيتر أكرويد اليهم في مؤلفه الاخير عن تاريخ المدينة يحمل عنوان: "فينيسيا، المدينة النقية".

وكما في مؤلفه السابق عن "لندن"، لا نجد في كتابه هذا اتجاها واضحا للسرد فيه، ويضم ٣٧ فصلا قصيرا (عناوينها: مرايا، احجار واسرار وغيرها) مرتبة حسب ١١ موضوعا. ان اسلوب بيتر أكرويد عذب وكلماته قوية التأثير، تكاد تنسي القارئ من انه قرأها من قبل عشرات المرات..

ومدينة البندقية (فينيسيا) كما يقول أكرويد هي قصة مدينة أنشئت على الاهوار الطينية من قبل القوطيين الغازين من اجل النهب والسلب وتشكلت مدينة اشبه بالحلم من اندماج واتصال ١١٧ جزيرة ببعضها البعض وبصورة تدريجية. وقوة هذه المدينة تعود باستمرار وعلى مر العصور كونها "مفصلا لاوروبا". فقد كانت على الطرف المستدق للكاثوليك غربا والارثدوكس شرقا، على حدود الفرنجة والبيزنطيين، على حافة اليابسة والبحر وكانت المدينة الوحيدة التي لا ينشأ فيها نظام الاقطاع – لعدم وجود اراض كافية لاي اقطاعي كبير. كما انها لم تصبح مدينة زراعية مطلقا كما انها خلافا للمدن الايطالية الاخرى لم يكن لها تاريخ بعد انتهاء الامبراطورية الرومانية. وقد عبر أكرويد عن ذلك بقوله، "ان الناس الذين لا جذور لهم انجذبوا الى المدينة التي لا جذور لها".

وبسبب الاحساس بكونها الادنى، اخترعت المدينة اساطيرها وطقوسها وكدست آثارها، وخرافاتها وشرعيتها وهي بعد سرقتها عظام القديس مرقص (من الحواريين) من الإسكندرية في عام ٨٢٨، بدأت ترى نفسها منافسة لمدينة روما، التي كانت في تلك المرحلة تتضاءل اهميتها.

وان فينيسيا قد اصبحت مباركة وعدم الولاء تجاهها يعتبر سلوكا ينم عن عدم احترام المقدسات. وقد ادت تلك الافكار الى نشوء مجتمع محافظ بشكل غير اعتيادي مأسور بماضيه وتاريخه. وهناك ما يزيد على ١٦٠ كليو مترا من الوثائق الارشيفية و ١٠٠٠ مقطع من نصوص تعود الى القرن الرابع عشر عن المدينة. وقد سجلت المدينة ارقاما قياسية في امور كثيرة بالنسبة للتقاليد ومعدل الاعمار، (معدل سن القاضي الاول لجمهورية البندقية كان ٧٢ عاما). وقد كانت البندقية مدينة الجواسيس والمراقبين.

وقد اشتهرت مدينة البندقية في العصور الوسطى بتجارها الذين كانوا يجوبون العالم، ويحيلون مدينتهم الى مركز لجميع انواع البضائع الممتازة: "الحلوى والحرير والشمع والصابون والبهارات والاقمشة الدمشقية والسجائر والكافيار والعاج. وتحولت البندقية الى مدينة اشبه بسوق شرقية وكانت الرائدة في استخدام المرايا والقهوة والزجاج والشوكة. كل شيء يشترى ويباع: عبيد، جنس وحتى جزر بأكملها ومنها على سبيل المثال جزيرة كريت.

وقد يكون اشتهار المدينة بنزعتها المحافظة هو الذي جعل منها مركزا لاقامة المهرجانات والمواكب والتي كان بعضها يتواصل اشهرا. وفي البندقية افتتحت اول دار عامة للاوبرا في عام ١٦٣٧. ويعود ذلك الى حب سكان المدينة للتمثيل والغناء، اذ ان اول مسرح للتمثيل والغناء كان قد افتتح فيها في عام ١٥٦٥.

ومن المعروف ان البندقية كانت على الدوام مكانا للتناقضات. وكما ذكرنا من قبل عن مجتمعها المحافظ، فان ذلك لم يمنع كونها محطا للامور غير التقليدية التي رفضت من قبل مجتمعات اخرى بسبب المعتقدات الدينية او الاخلاقية. كانت المدينة غريبة وصارمة متزمتة، وكانت ايضا مكانا لانتهاك القواعد والسلوك وهي على الرغم من كونها معزولة قدمت للعالم عددا من الرحالة المعروفين ومنهم ماركوبولو وجون كابوت.

وقد يعزى كون البندقية اشبه بالأحجية سببا في كثرة الكتب التي تكتب عنها. وقد كتب ريكله: "عبر المرايا لا يقبض المرء أي شيء ولكنه يجد نفسه مدفوعا الى اسرار محيرة والمرء يغوص في الصور طوال النهار ولا يقدر على تجسيد واحدة منها". انها مدينة سريالية مضيئة تجتذب اليها الكتاب لغرابتها، اما بيتر أكرويد فيقول، "انها مدينة حقيقية وأناسها حقيقيون ولكننا نتواصل وكانها غير حقيقية".

ومع ان اسلوب أكرويد يمتاز بالتدفق والحيوية فهو كما يبدو امضى وقتا اطول مع كتاب سيرة المدينة عن تمضية الوقت في قنواتها أي ان الكتاب لا يعبر كثيرا عن تجربة شخصية الا في حالة واحدة عندما ينهي صفحاته بعبارة لا تصدر الا عن سائح تأثر بعمق مما رأى وتنهد قائلا: "أوه! فينيسيا".

*عن الصنداي تايمز*

# فن المأساة في العصر الحديث

إيزابيل ادجاني

*لطالما ألهمت النصوص الدموية الكثير من العامة. ويرى النقاد انه لو تم مسح هذه النصوص من سجل الوثائق التاريخية لما كان هناك ما يعرف بالمسرح الحديث*

**الكتاب: مسرح الوحشية والأحداث الدامية**

**تأليف: كريستيان بت**

**ترجمة: إيمان قاسم ذيبان**

تمثل العودة إلى العصور الوسطى المستهلة بعصر النهضة والعصر الذي تلاه،مجالا أدبيا منسيا بعض الشيء سيما فيما يتعلق بالإرث الثقيل للأحداث المأساوية التي باتت جلية آنذاك. عبرت هذه الأحداث عن مؤامرات ودسائس ومكائد سوداوية أبرزها نزاعات الميديين في فلورنسا التي أدت إلى الكثير من الجدل والنقاش حسمها غريون الملك الأسطوري لمدينة (طيبة). وقد سلط الضوء عليها من قبل الكتاب امثال سوفوكل وسينيك وايشيل. كما وصفت بعمق انقلاب البازيين،الحدث الذي حلله تفصيليا المؤلف لورو مارتين في كتاب (دم نيسان). وفي تلك الحقبة، كان لابد من انتظار ظهور المسيحية بعقائدها المختلفة لإنهاء العنف المستشري أو ما عرف آنذاك بـ(حرب الأديان).

وأدت هذه الأحداث المأساوية إلى ولادة (فن المأساة) المبتكر من قبل جين بريتوج،الكاتب الذي ألف مسرحية تراجيدية مكونة من ثمانية أشخاص ومقتبسة من مسرح العصور الوسطى، تجمع حبكتها بين معرفة السر المقدس والاستعارات الأخلاقية المعروفة في عام ١٥٧١. آنذاك، استخدام مصطلح التراجيدية لسرد قصة مليئة بالرغبات الشهوانية عبر جريمة وحشية ارتكبت بحق فتاة شابة و تحديدا بعد مرور عام واحد على مجزرة سان براثيميلي التي أصبحت الحبكة الرئيسية في مسرحية الأميرال الفرنسي (فرانسوا شاتيلوف) (دراما غاسبارد دو غولين المجنون)في عام ١٥٧٥ثم أضحت فحوى لكتاب (مجازر في باريس ولندن)الذي نشر في عام ١٥٩١ للكاتب كريستوفر مارلو.

هكذا ظهرت (وعبر هذا الحقل غير المكتشف والمجهول نسبيا الذي ابرز المأسي المروية في الأدب الغربي إضافة إلى أعمال غورناي وراسين و عبر عالم مشبع بالقسوة ومليء بالدمار والمتزامن مع أعمال شكسبير وجون فورد وبين جونسون) المقتطفات المثيرة بأحداثها والمشوقة بقصصها التي جمعها الكاتب كريستيان بت في هذا الكتاب.

وفي اولى صفحاته، يتطرق المؤلف إلى (الليلة الأخيرة لماري ستيوارت)، الفيلم الذي جسدت بطولته الممثلة البارعة إيزابيل ادجاني والمتضمن مشاهد القتل العلني، إذ ظهرت ملكة اسكتلندا (ماري ستيوارت) بصورة أخاذة ومميزة لتعبر عن هوسها بارتكاب الجرائم لصالح الدولة وبشكل مخيف الى درجة تجعل المشاهد يشعر بالشفقة إزاء الضحايا الأبرياء سيما غير المسلحين منهم. كما ضاعف استشهاد الملكة الكاثوليكية في شباط عام ١٥٨٧من حدة التوترات الداخلية خاصة عندما تعالت الأصوات منادية بقتل الملك ما أدى إلى ضعف النفوذ السياسي للمناطق الخاضعة للدولة وبالتالي إلى سقوط العديد من الملوك (منهم هنري الثالث وهنري الرابع) في هوة التزمت والتعصب الديني. ويذكرنا هذا الأمر بالمغالاة والإفراط والاجراء الانتقامي للجيش الاسباني (وهو الجيش العتيد الذي أرسله فيليب الثاني للهجوم على انكلترا إلا انه أبيد بالكامل) وبالقتل الدموي الذي مارسته حاشية (فالوا) شارل التاسع، الملك الذي نضم قتل البروتستانيين في عام ١٥٢٧ والمجتمعين في باريس لمناسبة حضور حفل زفاف الملكة (مارلوت) وهي شخصية أخرى جسدتها إيزابيل ادجاني منذ عهد قريب.

و كشف الكتاب عن مسالة التقدم المهني للمسرح الذي اوجد مشاهد أكثر شعبية ومؤثرات أكثر جذبا مع اتساع حضور الجمهور والإحساس بالنص الممثل والرقي الثقافي والعمراني وانعكاس هذين الجانبين على نواحي الحياة المختلفة.

بينما استفادت المهن ذات العروض المتنقلة وتجارة الجوالين من الانتعاش الاقتصادي الذي صاحب إرساء السلام المدني. ووقف المؤلف على الطريقة التي سردت بها الإحداث التاريخية بهدف جذب القارئ الذي يكون عادة (الثمن) لكل هذه المؤلفات. وأحيانا تسهم الكتب الغريبة المؤثرة والتفاصيل المخيفة والمثيرة للإعجاب وتلاحم الحبك، المنطوية على وصف معاناة الضحايا، في تعميق النزاع المتواصل بين وجوب تذكر الإحداث المأساوية أو حتمية نسيانها. كما منحت الرؤية المتطرفة للقضايا المطروحة صفة الإحساس بتناقضات المجتمع المنقسم بين الذكرى والنسيان.

ومن المهم القول إن الحدث المأساوي يأخذ(في المشهد المسرحي) قوة طاغية وحضورا بناءا، عادة ما ينتهي بتسوية النزاعات وإخماد الفتن وإحلال السلام لابل وحتى بإلغاء المسرح المشوب بنصوص العنف والدمار.

هكذا، نقرأ بشغف وفضول (وعلى هامش المسرحيات ذات الأفكار المتحررة أو الحبكات القديمة) قصصا مأساوية وحكايات دامية تأسس عليها فن المأساة الحديث. فالمؤلفون، أمثال: فرانسوا دو بيلفورست وبيربو اتيل وفرانسوا دو روسيه وبيير مانغراي وجين بير وكامو والكسندر هاردي، اعتادوا على مزج أعمالهم الأدبية مع الواقع المعاصر بالاستفادة من أخبار العالم المتنوعة. ولا يستطيع المرء عبر قراءة أعمالهم نكران التوقيت الدقيق بين العنف السياسي وعودة فن المأساة الأدبي.

إذا فهذا الكتاب المتع هو بالأساس عمل أدبي يتفحص بدقة قيمة وأهمية الأخلاق عبر التذكير بالمشاهد الدموية واللاإنسانية، تلك التي تلامس الرؤية فيها الإحساس بالشفقة والشعور بالعاطفة والرهبة، على أمل أن لا يتعرض احد لمثيلاتها مرة أخرى. ونقول باختصار إن فن المأساة ما هو إلا رسالة لاجتثاث مآسي المجتمع لا أكثر.

*عن صحيفة اللوموند الفرنسية*

# نهاية العالم الغربي وولادة نظام عالمي جديد

**الكتاب: عندما تحكم الصين العالم**

**تأليف: مارتن جاك**

**ترجمة: المدى**

قد يناقش المؤرخون في يوم من الايام فيما ان كانت الازمة المالية التي بدأت قبل عام كانت سببا مهما للإضرار بالولايات المتحدة الاميركية وكيف انها لم تؤثر الا قليلا بقوة عالمية صاعدة وهي الصين.

ان الصين تشهد في الوقت الحاضر عمليات تغيير متواصلة من التحالفات السياسية في أفريقيا الى امور متعلقة بالاقتصاد والعملة وهي امور لم تكن تخطر على بال الباحثين من قبل.

وفي كتاب، "عندما ستحكم الصين العالم"، يقول مارتن جاك ان الصين لن تأخذ مكانة الولايات المتحدة فقط كقوة كبرى بل انها ستجاوز ما وصل اليه الغرب حضارة وعلما.

وهذا الرأي الجريء يستند الى فرضية ان لاشيء يؤثر في الصين على الاستقرار السياسي وآلية الاقتصاد فيها. فرضية قد لا يتفق عدد من القادة الصينيين مع الكاتب بشأنها، اذ ان المستقبل غير معروف وقوة كتابه يكمن في البحوث العميقة التي اجراها والدراسات التي شملت نواحي متعددة من الصين وإمكاناتها والظروف التي تتحكم فيها مستقبلا.

ويتعامل عدد كبير من الصحفيين ومؤلفي اكثر الكتب مبيعا مع الصعود الصيني كظاهرة اقتصادية. وقد كانت الصين تقدم للعالم كدولة نامية، ولكنها فتحت ابوابها للغرب وسمحت بسوق اقتصادية على النمط الغربي من اجل انعاش استيراد البضائع لمستهلكين اغنياء في الخارج. وتلك الامور هي من الحقائق الواضحة ولكن المؤلف يناقش هذه المسألة قائلا: ان الحديث عن الجانب الاقتصادي والتركيز عليه قد اعطى الغرب احساسا مزيفا من الامان وصور الامر وكأن الانتعاش الصيني قد غير القليل من الصين بدلا من الاعتراف بان الصين ستغير العالم بشكل اساسي مستقبلا.

ومن مظاهر التغيير في الصين ان الكثيرين من الصينيين قد تعلموا اللغة الانكليزية من اجل التفوق في مجالات الاقتصاد العالمي. ومع ذلك يقول المؤلف ان المستقبل هو للماندرين، وهي اللغة الصينية الرئيسية من بين خمس لغات عالمية في العالم وتنافس اللغة الانكليزية حاليا في آسيا وقد كانت الانكليزية هي اللغة المستعملة في "الشبكات الفضائية" ولكن اللغة الماندرينية تنافسها في الوقت الحاضر.

وقد انتهجت الصين نموذجا خاصا بها بالإنتاج الاقتصادي وان غدت اليابان ميالة الى الاستحواذ على النوعية فإن الصين قد كونت سمعة في السرعة والمرونة فشركاتها تمزج الأمور كي تتلاءم مع طلبات المجهزين: تبيع وتستنسخ او تسرق الأفكار ثم تقدم المنتج الذي يكون كافيا لإرضاء الطلبات الرخيصة التي يقبل عليها الناس وتجد شعوب عديدة صعوبة في التنافس مع الصين حتى ان استخدمت عمالا صينيين في شركاتها.

والصين دولة تتعامل مع اقتصادها حسب طريقتها اذ لا خط واضحا يفصل بين قطاعاتها العامة والخاصة ما يحير الشركات الاميركية التي اعتادت على التعامل عالميا مع ما هو قطاع عام او مجرد رجال اعمال لهم شركاتهم الخاصة.

وفي الوقت الذي تجد فيه الصين طريقها في المجال الاقتصادي يبدو الامر غير مقبول ان تتوجه نحو الغرب بحثا عن النصح في المجالات السياسية ان الحزب الشيوعي والحاكم فيها. قد نبذ ومنذ زمن الإيديولوجية الاشتراكية ووضعها جانبا لتصبح الصين نموذجا حديثا للسيطرة الامبريالية ويتولى قادة الصين مهمة الحفاظ على وحدة البلاد والدور التقليدي للسلطة ويرى عدد كبير من الصينيين ان تلك المهمة مقدسة.

ويناقش المؤلف تلك الفكرة قائلا: ان أغلبية الصينيين يساندون قادتهم مع الإصلاحات الديمقراطية او بدونها، ما دامت بلادهم تتقدم وتشتد قوة.

اذن كيف سيعمل العالم تحت القوة الصينية؟

ويطرح المؤلف عددا من التصورات الخيالية: ان الامم المتحدة تطالب دائما بديمقراطية الشعوب. اما الصين فتؤكد اتباع سياسة الديمقراطية بين الشعوب وان كان العامل السكاني عاملا في تقرير مدى قوة الدول على النطاق العالمي فان الصين ستتفوق في هذا المجال على جميع الدول الغربية الديمقراطية.

لقد عاش المؤلف مارتن جاك في الصين وكتب عن رحلاته فيها ولكنه كما يبدو قد طور افكاره عبر قراءاته المتعددة غير معتمد اساسا على رحلاته تلك اذ نجده قليل الاهتمام بالحياة اليومية للمواطن الصيني ومعاناته – ولا يتحدث عن خليط الثقافات في المدن او عن حالات تمرد الفلاح الصيني ولا يشير الى الخلافات القائمة في القيادة السياسية او الى تلوث الهواء او الى شبكة الرقابة في الشوارع او الى البيروقراطية الفاسدة اوقد يأتي كتاب آخرون ليكتبوا عن الكفاح الانساني في الصين مستقبلا.

ومع ذلك فان المؤلف نجح في الجواب عن اسئلة مهمة تواجه اليوم العالم.

*عن النيويورك تايمز*